

تعليمية النحو العربي بين الواقع والآفاق

د.إسماعيل مغمولي

قسم اللغة العربية و آدابها جامعة عنابة

ملخص:

يتنزل هذا البحث منزلة الحديث عن أهمية تعليم النحو في الحياة اللغوية العربية، لارتباطه القوي بالدلالة من جهة ، ولكونه أحد مستويات التحليل اللساني من جهة أخرى.

وقد تطرق البحث إلى عدد من القضايا : كاللغة، وظاهرة اللحن، ونشأة النحو، ومفهومه، والغرض من تدريس قواعده، كما تطرق إلى أهم الطرائق المتبعة في تدريسه ، والخطوات والأساليب المعتمدة في ذلك. الكلمات المفتاحية: اللغة، اللحن، النحو، القواعد، طرائق، خطوات، أساليب.

Résumé:

Cette recherche porte sur l'importance de l'éducation dans la langue arabe comme la vie, est liée à la rhétorique forte d'une part, et pour être l'un des niveaux de l'analyse linguistique , d'autre part.

Trouver abordé un certain nombre de questions: la langue , et le phénomène de la mélodie, et l'émergence de la grammaire, concept, et le but de l'enseignement des règles, ont également porté sur les méthodes les plus importants utilisés dans l'enseignement, et les étapes et les méthodes adoptées dans ce domaine.

Mots clés:

Langue, mélodie, Grammaire, règles, méthodes, étapes, méthodes.

Summary:

This research paper aims at discussing the importance of learning grammar in the Arabic language , life for its strong connection to give indications on the one hand , and for being one of the levels of the linguistic analysis on the other hand.

This research paper has looked over on a number of issues such : as language the intonation , and the emergence of grammar and its understanding , and the purpose of teaching the grammar rules , it also looked over the most important methods used in grammar teaching , and the approaches and steps adopted for it.

Key words: language, intonation, grammar, rules, methods, steps approaches

مقدمة:

1- تعددت البحوث في مجال التعليمية، وكثرت مناهجها، وتعددت أغراضها ومقاصدها تبعا لتعدد مناهجها، وعظمت فوائدها بفضل المناهج والنظريات والوسائل والطرائق التي قدمتها لقطاع التربية والتعليم، ونجحت في معالجة الموضوعات المختلفة، وفي الإجابة على كثير من الأسئلة المتعلقة بالموضوعات التعليمية والنفسية والاجتماعية، وقدمت الوسائل البيداغوجية والطرائق المنهجية والعملية الناجعة لتحقيق أهدافها، ولم تقتصر أبحاثها على ميادين محددة وفي نطاق ضيق بل عملت على توسيع مجال أبحاثها، فشملت الترجمة، وعلم المصطلح، وتعليمية اللغات، ومحو الأمية، وغيرها. كما عملت على إبراز الظواهر اللغوية المختلفة، من قبيل التقابل اللغوي، والموازنة بين اللغات التي ليست من أصل واحد، كالعربية والفرنسية مثلا.

1 - اللغة وظاهرة اللحن :

تعدّ اللغة أهم عامل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية والطبيعية ، فبواسطتها يتفاهم الإنسان مع غيره ، ويعبر عما يختلج في نفسه من أفكار ومشاعر وأحاسيس ، وهي أداة التفكير ووسيلته التبليغية ، فبواسطة اللغة استطاع الإنسان أن يعيش ماضيه ، ويتواصل مع حاضره ويتطلع إلى مستقبله. وهذه الصلاحية المستطيلة المستعرضة للغة في الحياة الإنسانية هي التي جعلت الإنسان يختلف عن الحيوان الأعجم، ويعيش الأزمنة الثلاثة (الماضي، الحاضر، المستقبل)، يتواصل مع الماضي السحيق، ويتطلع إلى المستقبل البعيد.

فالإنسان منذ فجر التاريخ يتكلم اللغة ، ويعبر بها عن آماله وآلامه وتطلعاته وأفكاره، ويتواصل بها مع مجتمعه . كما أوجد آلية لغوية للتواصل مع الأجناس والأمم والحضارات الأخرى، في الحرب والسلم ، وفي الرخاء والشدة . وكان العرب في جاهليتهم يتكلمون العربية مستقيمة في أساليبها ، سليمة من الأغلاط، بعيدة عن اللحن ، دون تكلف وعناء يذكر. فالعربي يتكلم اللغة وفق السليقة والسجية والطبع .

وقد أجمع أهل العلم على أن السبب في تفشي ظاهرة اللحن في اللغة العربية يرجع إلى اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب والأجناس الأخرى بعد انتشار الإسلام، فاختلط اللسان العربي بغيره من الألسنة، وبدأ يظهر اللحن على هذه الفئة العريضة من الأعاجم التي دخلت في الدين الجديد في عهد الرسول (ص) ، وقد أشار الزبيدي (ت 379 هـ) إلى أن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين في عهد النبي (ص) ، فقد روي أن رجلاً لحن بحضرته صلى الله عليه وسلم ، فقال: « ارشدوا أخاكُم فقد ضلَّ . (1) »

ومن المعلوم أن « اللحن في اللغة له مظاهر كثيرة ؛ فهو يصيبها في الأصوات وطريقة نطقها، والصيغ الصرفية، والتراكيب النحوية، وما يتصل بالإعراب، والخلط في استعمال المفردات ، وعدم التفريق بين معانيها . ويعد الخطأ في الإعراب أول مظاهر اللحن في نشأته الأولى ؛ لذلك يقول أبو الطيب اللغوي (ت 371 هـ) : اعلم أن أوّل ما اختلّ من كلام العرب فأخْرِج إلى التعلم الإعراب . (2) »

ونظراً إلى الخطر المتمثل في ظاهرة اللحن الذي يهدد اللغة في وجودها ، والدولة في كيانها ، انبرى الخلفاء والعلماء للتصدي لهذه الظاهرة (3) . ويروى أن أول من وضع علم النحو العربي أبو الأسود الدؤلي، وأوّل خطوة خطاها هي نقط المصحف أو نقط الإعراب . وروى القلقشندي أن أبا الأسود قال : أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن . وهذا العمل ينسب إلى أبي الأسود دون غيره، وقد قام به زمن ولاية زياد على البصرة (ت 53 هـ)، وهو غير نقط الإعجام الذي قام به نصر بن عاصم أو يحيى بن يعمر زمن ولاية الحجاج على العراق . (4)

2 - نشأة النحو:

روي أن زيادا بعث إلى أبي الأسود وقال له : اعمل شيئاً تكون فيه إماماً وتعرب به كتاب الله ، فاستغفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ قوله تعالى { إن الله بريء من المشركين ورسوله } [التوبة / 3] بالخفض ، فقال : ما ظننت أمر الناس صار إلى هذا، فرجع إلى زياد ، وقال له : أنا أفعل ما أمر به الأمير، فليبلغني كاتباً لقنا يفعل ما أقول ، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه ، فأتى بآخر ، فقال له أبو الأسود : إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، فإن ضمنت فمي فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبعته شيئاً من ذلك غنة ، فاجعل مكان النقطة نقطتين . (5)

ومما سبق يتبين أن مصطلحات الإعراب كانت كما يأتي :

أ - الفتح : (إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه) .

ب - الضم : (فإن ضمنت فمي فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه) .

ج - الكسر : (وإن كسرت فاجعل نقطة تحت الحرف) .

د - الغنة : ويعني بها التنوين (فإن أتبعث شيئاً من ذلك غنة ، فاجعل مكان النقطة نقطتين) .

وهذا العمل العلمي الذي قام به أبو الأسود يعدّ بمثابة ردّ فعل مباشر لظاهرة اللحن ، التي تفتشت على الألسن بسبب اختلاط اللسان العربي بغيره من الألسنة ، وقد طال هذا اللحن اللغة العربية والقرآن الكريم . والغرض من عمل أبي الأسود هو وضع ما من شأنه تقويم اللسان وتجنّب اللحن في الكلام ، وبالتالي إبعاد الخطر عن القرآن الكريم ، وذلك بوضع القوانين النحوية التي تحفظ نصوصه ، وتسهل على عامة الناس قراءته

أما نقط الإعراب المتداولة إلى يومنا هذا ، فقد وضعها عالم العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي ، فقد اهتمدى إلى وضع الإشارات ، وهي الحركات الإعرابية المعروفة ؛ لأنه كان يرى أن الفتحة جزء من الألف ، والكسرة جزء من الياء ، والضمة جزء من الواو .

3 - مفهوم النحو :

النحو في اللغة، يعني: القصد والطريق ، يقال : نحنا ينحو نحوا وانتحاء ، نحو الشيء بمعنى قصده وسار على أثره وقلّده . (6) واصطلاحاً : هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي اختلف منها (7) . وهذا تعريف القدماء ، وهو تعريف يجعل النحو مرادفاً لعلم العربية . أما المتأخرون ، فيعرفونه بأنه علم يبحث عن أواخر الكلم ، إعراباً وبناء (8) . ومن ثمة فهم يجعلون النحو قسماً للصرف . أما عند المحدثين ، فهو علم يدرس مواقع الكلمات داخل الجملة ، والعلاقات النحوية بينها (9) وعليه ، فالنحو علم يبحث في ظاهرة العلاقات بين مكونات النص وما تستوجبه هذه العلاقات من ضبط محدد لأواخر الكلمات. ومن ثمة كانت الضرورة لوضع القواعد النحوية.

4- مفهوم القواعد :

القواعد، جمع، مفردة، قاعدة ، والقاعدة: هي الأساس ، وقواعد البيت أسسه ، وفي القرآن الكريم ورد قوله تعالى : { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ } [البقرة / 127] .

والقاعدة أمر كلي ينطبق على جزئيات، كقولنا : قاعدة حسابية ، وقواعد اللغة ، وقواعد السلوك (10)

وكما أن للعلوم الطبية، والعلوم التكنولوجية والتطبيقية وعلوم الطبيعة والحياة قواعد وأسس تحكمها ، وتسير وفقها وعلى هديها ، فمن الطبيعي جداً أن يكون للغة قواعد ومبادئ يجب أن تسير وفقها ، وإذا كانت اللغة العربية تعتمد على السماع في مرحلتها الأولى (حتى العصر الجاهلي) : « لم يكن لها قواعد مكتوبة، بل كان لها ضوابط فرضها العرف، وصقلها الاستعمال . وفي أواخر العصر الجاهلي ، بدأت تتوحد لهجات العرب ، في أسواق العرب حين سادت لغة قريش ، التي أكسبتها الحياة الحضرية فصاحة ومرونة وخصباً، تفتقر إليها بقية لهجات القبائل (11) »

وحينما جاء الإسلام نزل القرآن بلغة قريش، وهكذا أصبحت لغة قريش هي اللغة الواحدة والمهيمنة.

وبما أن اللغة العربية هي الأساس، والعلوم المنبثقة عنها فرع عليها، ومنها النحو، وبالتالي فإن اللغة وجدت قبل القواعد.

لقد وجدت القواعد لحفظ اللسان من اللحن، وعصمة القلم من الخطأ، وذلك وفق منهجية علمية صحيحة، « وقد تكلفت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتضحية جديرة بالإعجاب بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها من ناحية الأصوات، والصيغ، وتركيب الجمل، ومعاني المفردات على صورة شاملة ، حتى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد (12)

5- الغرض من تدريس القواعد :

يعد النحو أداة مهمة من أدوات التحليل اللساني ، مما جعل القدماء يتوسلون معنى الكتاب الحكيم من خلال النحو ، وعلى ضوء ذلك سار ابن خلدون . فبعدما تكلم عن علوم اللسان العربي وأركانه الأربعة (اللغة، والنحو، والبيان، والأدب) ابتدأها بالنحو الذي قال عنه : « والأهم المقدم منها النحو ، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة ، فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة وكان من حقّ علم اللغة التقدم لولا أن كثرة باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند والمسند إليه، فإنه تغير بالجملة . (13) »

وفي هذا دلالة واضحة على أهمية النحو في تبين أصول المقاصد بالدلالة عليها ، وذلك بمعرفة الضمائم الموجودة بين الكلمات في الجمل ، من حيث الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة .

وقد نحا الجرجاني هذا المنحى، حينما قال : « إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه . (14) »

ومما سبق يتبين أن القواعد ليست غاية في حدّ ذاتها ، وإنما هي وسيلة إلى ضبط الكلام، وتبيين مقاصده بالدلالة عليه، وتصحيح الأساليب، وتقويم اللسان من اللحن ، وحفظ القلم من الخطأ .

وقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة والمناهج الدراسية على أهمية دراسة النحو، وتبنت المرامي والأغراض من وراء تدريس مادة النحو، ومنها :

- 1 - العمل على تصحيح أساليب التلاميذ من الأخطاء النحوية وتجنبها .
- 2 - أنما تعمل على تربية العقل ، وذلك بحمل المتعلم على إدراك الفروق بين الجمل والتراكيب والعبارات .
- 3 - كما تعمل القواعد النحوية على توسيع المعجم اللغوي لدى المتعلمين ، بفضل ما يدرسونه ، وما يتعلمونه من عبارات تتصل ببيئتهم الطبيعية ، وحياتهم الاجتماعية اليومية والواقعية .
- 4 - أنما تعمل على تنظيم المادة اللغوية التي يكتسبها المتعلم خلال الأسبوع ، وتمكنهم من الوقوف الصحيح على العبارات والأساليب الصحيحة غيرها .
- 5 - كما أن التمكن من القواعد النحوية، يساعد المتعلم على الإبانة عن الأغراض والمقاصد باللغة السليمة نطقا وكتابة واستعمالا وأداءً .
- 6 - تربية الذوق الأدبي لدى المتعلم ، وتهذيب لغته ، وصقل أفكاره ودقة وصّفه ، وتزويده بمهارات لغوية متعددة يستعملها في المواقف التعبيرية المختلفة .

6 - طرائق تدريس النحو :

معنى الطريقة : هي مجموعة تقنيات منظمة ذات هدف ترتكز على أسس تربوية ونفسية . وللطريقة أهداف تتجلى في سلوك الأفراد سواء أكانت خارجية أم داخلية ، وهي الاستعدادات والقوى التي تقرر السلوك . (15)

بالرغم من الأهمية القصوى التي يكتسبها النحو في الحياة اللغوية العربية ؛ إذ به يحفظ اللسان من اللحن ، وبه يحفظ القلم من الخطأ ، وقد بذل القدماء مجهودات جبارة في مجال التصنيف والتأليف ، وتركوا لنا تراثا ضخما ، يتوارثه الآباء عن الأجداد إلا أنهم أنزلوا القواعد النحوية منزلة الغاية لا منزلة الوسيلة ، فنجد اللغوي يقضي حياته في البحث عما ورد في تصنيف معين من الأحكام والتفسيرات، دون أن يضع في الحسبان التطور الحاصل على الصعيد العلمي والواقعي والاجتماعي.

وإذا كان جوهر النحو العربي وحقيقته ثابتة ، إلا أنه يجب أن تتعدد النظرة إليه بتعدد وجهات الناظرين ، وفي ذلك الخير كل الخير، لأنه يشرى العمل النحوي ، ويؤدي إلى التراكم المعرفي في مجال تيسير النحو . ولكن هذا العمل يحتاج إلى استمرارية وطول

النفس، كما يحتاج إلى مناهج تجديدية، وطرائق حديثة ، من شأنها أن تمكن لعمل علمي جادّ ينهض بتعليمية النحو ، ويجعله مواكبا للتطورات الحاصلة على الصعيد العلمي والاجتماعي والحضاري .

ومن بين الطرائق المعتمدة في تدريس النحو :

1 - الطريقة القياسية : (16)

طريقة قديمة في تعليم النحو ، تقوم على استحضار القاعدة النحوية، والتعريف بها في البداية ، وبعد ذلك يستدل عليها بالشواهد والأمثلة، التي تؤدي مناقشتها إلى شرح القاعدة وفهمها ، وهي التي تعرف بالطريقة الاستنتاجية ، وفيها يكون الانتقال من الكل إلى الجزء ، وهذه الطريقة تكون صالحة الاستعمال في المحاضرات، وبالتالي، فهي تناسب المرحلة الجامعية، أما في المرحلة الابتدائية وغيرها من المراحل التعليمية فهي غير مناسبة ؛ لأن الأطفال لم يبلغوا مستوى يؤهلهم إلى استعمال المسائل القياسية . ويرى أصحاب هذه النظرية، أن حفظ القاعدة واستظهارها يؤدي إلى حسن استعمالها، لأن التمكن من النحو غاية مطلوبة عند أنصار هذه الطريقة .

وما يؤخذ عليها أنها عوّدت المتعلمين على الحفظ والمحاكاة ، وعدم الاعتماد على النفس، وهي بذلك تمنع المتعلم من تكوين سلوك لغوي سليم ، ومن أكبر عيوبها، أن المتعلم يحصل على درجات متقدمة في التطبيق ، ثم يعجز عن التعبير السليم نطقا وكتابة .

2 - الطريقة الاستقرائية :

من المعلوم أن الاستقراء طريقة علمية، يعول عليها في العلوم الطبيعية والتجريبية ، كما يعول عليها في العلوم الإنسانية ، وهي طريقة قديمة ، ومع ذلك تُعد من أحسن الطرائق في تعليم القواعد النحويّة؛ لأنها تنطلق من الواقع اللغوي نفسه ، وتعتمد على الملاحظة، وتتبع الظواهر النحوية عبر المراحل المختلفة ، والموازنة ، والاستنتاج . وهذه هي طريقة البحث العلمي المتبعة في تدريس العلوم الطبيعية والتقنية .

فهي تسير طبيعة الفكر؛ لأن الإنسان يكتسب المعارف والمفاهيم التي أصبحت جزءا من حياته، عن طريق الملاحظة والمقارنة والتعليم والتجريب .

والطريقة الاستقرائية، هي التي ينطلق فيها من الأمثلة المستخرجة من النص إلى القاعدة المستنبطة عن طريق الملاحظة والمقارنة والتحليل ، تطبيقا لمبدأ التكاملية والشمولية، تُدرّس من خلالها النصوص، وتستنتج قواعدها من مختلف نشاطات اللغة، والمواد الأخرى، وتعتمد الموازنة والمقارنة في تحليل عناصر الجملة، والعناية أكثر بالوظيفة التي تؤديها هذه العناصر، بمقارنتها بالعناصر الأخرى، لأن الطريقة متماشية مع عقول الأطفال؛ لأن العقل ينمو بطريقة الإدراك الحسي الجزئي، قبل الإدراك الكلي.

وبهذه الطريقة تُنمي ملاحظة الطفل، ويزداد انتباهه عند تتبعه الأوصاف العامة المعروفة لديه ، وهي كذلك تنمي الإدراك الكلي لاعتمادها على مشاركة التلاميذ، مشاركة واقعية إيجابية في بنائه ، وكل ذلك في تدرج معقول (17)

3 - الطريقة النشيطة :

وتقوم على الجهد الذاتي للمتعلمين ، وتنطلق من معلوماتهم السابقة ، حيث يكلفهم المعلم بجمع ما يروونه مناسبا من الأمثلة : الجمل، وال فقرات، والنصوص، التي تتصل بقاعدة معينة يعرضها عليهم ، ثم يقدّمون ما أعدوه في حصة النحو ، كمنطلق للحوار والمناقشة ، ينتهي باستنباط القاعدة المطلوبة .

وميزة هذه الطريقة أنها تستغل نشاط المتعلمين ، وتنطلق من واقعهم، واختياراتهم في إعداد الأمثلة، وهذا ما يجعلهم يعيشون الدرس ، كما أنها توفر على المعلم الجهد وتغنيه عن المقدمات . وتكون ناجحة وفعالة إذا أحسن المعلم توجيه نشاط المتعلمين في إعداد الأمثلة، وقدرتهم على توفير أمثلة في الموضوع . وتعد هذه الطريقة نوعا من الطريقة الاستنباطية (الاستقرائية) .

4 - طريقة المشكلات :

طريقة حديثة ، تقوم على طرح موضوع للحديث أو للكتابة، تبرز من خلاله مشكلة نحوية يثيرها المعلم ، ويوضح أنها موضوع الدرس ، وتكون أمثلتها من المواد الدراسية المقررة التي تأخذ طيلة الأسبوع ، حيث يستثمر المتعلم جميع معارفه اللغوية، ويوظفها في نسج أمثلة على شاكلة المشكلة المثارة ، والتي هي محل المناقشة . وتبدأ هذه الطريقة بتحديد المشكلة ، وجمع المعلومات عنها ، وافتراض الحلول لها ثم التحقق من صحة الفروض بالبحث ، ثم التطبيق . (18)

5 - تدريس القواعد من خلال النصوص :

إذا كان الهدف من تدريس قواعد النحو ، هو التمكين من اكتساب المهارة اللغوية لدى المتعلم، فإن أفضل سبيل إلى ذلك هو نصوص القراءة ، التي تتضمن مواضيع وأمثلة لها علاقة ببيئة المتعلم الطبيعية والاجتماعية والحضارية ، وتماشى وطبيعة المنهاج، والطريقة .

وهذا النوع من الطرائق يضيف على العملية التعليمية نسقا في التفكير وانسجاما في العمل ، ويعمق فهم النصوص، ويوفر الوقت والجهد على المعلم ، ويسهل استخلاص الأمثلة وصياغتها واختيارها ، من مواضيع النصوص المقررة . إن المتعلم يستخدم في مادة النصوص الكلمة المفردة ، والتركيب ، والجملة ، والفقرة، والنص ، ويوظفها توظيفا سليما ، يارشاد وتوجيه من المعلم . لذلك ، فمادة النصوص (القراءة) تقضي على الحواجز بين الأنشطة اللغوية ، وتربط ربطا وظيفيا بين الفكرة والبنية اللغوية التي تضمنتها ، وهذا دلالة واضحة على أن القواعد ليست غاية في حد ذاتها ، وإنما هي أداة ووسيلة للتفكير والتعبير .

ويشترط في النصوص المعدّة لهذا الغرض، ألا تكون طويلة، حتى تتناسب وتوقيت الحصة وحتى لا تستغرق وقتا طويلا في الشرح ، كما أن هذا النص قد لا يستوعب كل تفاصيل الدرس، ولا يفي بالأمثلة المطلوبة ، فإن حاولنا حشر النص بكل الأمثلة أتى متكلفا لا طعم فيه، لذلك يجب مراعاة هذا الجانب .

6 - التدريس بالنماذج :

من بين الطرق المعتمدة في تدريس القواعد النحوية، التدريس بالنماذج ، وهي طريقة تقوم على عرض نماذج محدّدة ، وأمثلة معيّنة ، يختارها المعلم ، ثم يكلّف المتعلمين بقراءتها ومحاكاتها ومناقشتها، لاستخلاص الأحكام منها ، وتستخدم هذه الطريقة في دراسة الأساليب النحوية المختلفة ، والغرض من ذلك، هو فهم معناها أو محاكاتها واستخدامها في الكلام . وإذا كانت طريقة النصوص، تعتمد على عرض نصوص كاملة، تشتمل على بعض الضوابط النحوية، فإن طريقة النماذج، تعتمد على عرض مجموعة من الأساليب النحوية قصد فهمها ومحاكاتها، لذلك تعدّ طريقة النماذج مكملة لطريقة النصوص؛ لأنه من الصعب أن يكون النص مستوفيا لجميع الأمثلة المطلوبة في بعض الأحيان، لذلك يلجأ المعلم في مثل هذه الحالات إلى طريقة النماذج لاستدراك ما نقص .

وأهم ما يؤخذ على هذه الطريقة هو جفافها ، وعدم الترابط الفكري بين عناصرها ، وتكلفها الذي يجعل من النحو مادة لا تعايش الحياة ، وهذا ما يؤدي إلى عدم الإقناع لدى المتعلم .

وبالرغم من التحسينات المستمرة على مستوى البرامج، والمنهاج، والطرائق ، إلا أننا نجد المتعلمين لا يحسنون الحديث باللغة العربية السليمة ، فحديثهم باللغة الصحيحة الخالية من الأخطاء لا يتعدى حجات القسم ، ولا يتجاوز حصص الأنشطة اللغوية المختلفة من قراءة، ونصوص، وبلاغة، ونحو، وصرف، وغيرها .

ولسنا ندري أين الخلل ؟ هل يرجع ذلك إلى طبيعة هذه المادة المجردة ومفاهيمها الصعبة، البعيدة عن واقع المتعلم، وعن تفكيره ؟ أم إلى الأساليب المتبعة في تعليم النحو، والنظر إليه على أنه قواعد تعرف بها أواخر الكلمات إعرابا وبناء ؟ أم أن الأمر يرجع إلى عدم كفاءة المعلم واقتداره ، وانعكاس ذلك سلبيا على طريقة تعليم المادة ؟

لا شك أن هناك عوامل كثيرة ساعدت على تكريس هذا الواقع المزري ، وحالت دون تحقيق الأهداف المرجوة من هذه المادة ، منها ما يتعلق بالمادة نفسها ، وهي كونها مادة جافة، ومنها ما تعلق بالمعلم الذي يعتمد في تعليمه طرائق غير نشيطة، ومنها ما يتعلق بالمتعلم الذي لا يتكلم اللغة بطريقة سليمة لا في القسم ولا خارجه .

7 - الطريقة المقترحة :

إن أفضل طريقة لتعليم النحو، هي تعويد التلاميذ على ممارسة اللغة العربية أداء واستعمالا وفق الأساليب الصحيحة ، وتدريبهم على ذلك بطريقة متصلة وجادة ، وتشجيعهم على استعمال التراكيب والعبارات السليمة الخالية من الأخطاء في جميع المواد الدراسية ، تزويدهم بالأدوات التي تمكنهم من الوقوف على الأخطاء بأنفسهم عن طريق استعمال التدريبات، والتطبيقات، والنماذج، المختلفة . ويجب أن يكون النحو الذي يقدم للمتعلمين وظيفيا ، الهدف منه تمكين المتعلم من لغته ، لذلك لا بد من الاعتماد في تدريس هذه المادة على القواعد التي تتصل بحاجات المتعلم اللغوية ، وأن يُعتمد على نصوص وأمثلة تتصل ببيئة المتعلم الطبيعية، والاجتماعية، والثقافية، والحضارية ، شريطة ألا تخرج هذه النصوص والقواعد عن البرنامج المقرر ، والتكثيف من التطبيقات التي تعمل على ترسيخ المعلومات ، وتعود المتعلم على الاستعمال الجيد ، والصياغة الصحيحة ، وتربي ذوقه الأدبي .

7 - خطوات تدريس النحو :

إن تدريس مادة النحو ليس هدفا في حد ذاته ، وإنما هو وسيلة لحفظ اللسان من اللحن والقلم من الخطأ ، ولكي تأتي دروس القواعد بالفائدة المرجوة ، وتصبح من الدروس الممتعة يفهمها المتعلم ويستسيغها ، يحسن أثباع الخطوات الآتية : (19)

1 - التمهيد ، ويتضمن :

أ - قراءة النص قراءة معبرة من طرف الأستاذ ، ومن متعلم أو متعلمين .

ب - مناقشة النص لإدراك معناه .

ج - استخراج الأمثلة وكتابتها على السبورة مرتبة وفق ما تقتضيه طبيعة الدرس وعناصره.

د - أسئلة للمراجعة والربط بين المعارف السابقة والجديدة .

هـ - ملاحظة الأمثلة ، ووضع خطوط تحت الكلمات المطلوبة .

2 - العرض :

وفيه تحلل عناصر الأمثلة وتناقش عن طريق أسئلة مركزة ومحكمة ، وتراعى في التحليل الدقة والعمق، وإبراز الصفات المشتركة أو المختلفة بين الأمثلة محل الدراسة ، وتقتطع القواعد الجزئية ، وتدوّن على السبورة ، وتصحب بتمارين جزئية فورية عقب كل عنصر ، لتعزيز المواقف ، وترسيخ المتكسبات اللغوية ، وهكذا إلى أن يصل إلى القاعدة العامة. ثم قراءة هذه القاعدة المثبتة على السبورة ، والواردة في الكتاب لمزيد من الضبط والدقة .

3 - التطبيق والتثبيت :

وذلك بواسطة تمارين جزئية عقب كل عنصر ، وكُلية عقب القاعدة العامة؛ لغرض ترسيخ المعلومات وتأكيدا ، وتنويع الاستعمال، وتطبيقه الوظيفي، ومراقبة المتعلمين وتصحيح أخطائهم وتوجيههم التوجيه المفيد .

8 - أساليب تدريس النحو :

هناك رابط تقني بين المادة والمعلم، اصطلاح على تسميته بالأسلوب . فالأسلوب هو الطريقة التي يلجأ إليها المعلم لتبليغ الرسالة اللغوية، وإليه وحده يرجع الفضل في ميل الطلاب إلى المادة وإقبالهم عليها، أو نفورهم منها .
فبالأسلوب يفكر المعلم ، وبه يكتب، ويتكلم ، ويتخذ الأسلوب عدة أشكال، ويختلف حسب اختلاف الطرائق . ومن الأساليب الشائعة :

أ - أسلوب الإلقاء : يصلح في الجامعة (إلقاء المحاضرات) ، ولا يصلح في المراحل التعليمية الأولى .

ب - أسلوب الحوار : وهو أسلوب فيه نشاط، وأخذ وعطاء بين المعلم، والمتعلم .

ومهما يكن من أمر ، فإنه لا بد من المزج بين الطريقتين الإلقائية والحوارية ، حتى يحدث تجاوب مع الدرس ؛ لأن الإلقاء يجعل المتعلمين سلبيين ، يتقبلون المعلومات، والمعارف دون أن يسهموا في بنائها. كما أن الاعتماد على أسلوب الحوار بمفرده غير ممكن، لأنه يتعذر على المتعلمين الإجابة على كل الأسئلة.

- تدريس النحو بين الواقع والآفاق :

إن مادة النحو العربي تدرس وفق طرائق مختلفة . ففي الجامعة تدرس وفق الطريقة الإلقائية؛ لأن الطلبة لهم من الاستعدادات والقدرات ما يجعلهم يتابعون الدرس من بدايته إلى نهايته ، ولكي يضيف على الحصص الحوية والنشاط ، لا بد من استعمال أسلوب الحوار ، من حين لآخر، لدفع الملل ، وكسر الروتين ، وجعل الدرس أكثر حيوية .
أما في المدرسة ، فتعتمد الطريقة الحوارية الاستنتاجية ، انطلاقاً من النصوص الأدبية ، ومع ذلك فإن كثيراً من المتعلمين ينفرون من النحو ولا يتجاوبون معه ، لأن « مدرس اللغة العربية يصب اهتمامه على تحفيظ الطالب القواعد لا على قدرة الطالب على التعبير الشفوي أو الكتابي ، وهذه القدرة هي الهدف الحق من التعليم ، ويجب أن تغير طرائق التعليم لتصل بالطالب في يسر إلى الهدف (20) »

وبالرغم من الجهود التي تبذل على مستوى المؤسسات من تخفيف البرنامج ، ووضع منهاج ملائم ، وتكوين المعلمين ، وإعادة تأهيل القدماء منهم الذين تكونوا في الميدان وتحسين تأهيلهم إلا أن ذلك لم يحل أزمة تدريس النحو . فالإشكالية ما زالت مطروحة وبجدة ، ومن بين المآخذ على الطرائق المعتمدة في تدريس النحو أن « العربي يدرس القواعد اللغوية في جميع مراحل دراسته ، ولكنه ينتهي من هذه المراحل وهو لا يحسن التحدث أو الكتابة بالعربية » وهذا أبرز مظهر من مظاهر سلبية وعدم جدوى ما قدم وما يقدم لدى المتعلمين من طرائق عقيمة .

- الخاتمة :

يعدّ النحو ضرورة حيوية لدراسة اللغة العربية ، فبالإضافة إلى كونه يحفظ اللسان من اللحن والقلم من الخطأ ، فإنه يعدّ أحد أدوات التحليل اللساني . ولقد فهم القدماء النحو فهماً صحيحاً ، وعبروا عن ذلك بدقة ووضوح ، ومن هؤلاء ابن خلدون ، الذي عبّر عن هذا الموقف بقوله : « والأهم المقدم منها [علوم اللسان] النحو ، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول ، والمبتدأ من الخبر ، ولولاه لجهل أصل الإفادة . (21) »

وما دام النحو يكتسي أهمية بالغة في تبين أصول المقاصد بالدلالة عليها ، وذلك بمعرفة الضمائم الموجودة بين الكلمات في الجمل، من حيث الفاعل والمفعول ، والمبتدأ والخبر ولولا النحو لجهل أصل الإفادة .

إن حقيقة النحو وجوهره واحدة ، فالنحو هو النحو ، وأحكامه وقواعده كذلك لا تتغير، لذلك لا بد من مراعاة هذا الجانب ، وإذا ما أردنا أن نُيسر النحو فما علينا إلا أن ننظر إليه نظرة علمية ، نظرة فيها من العمق والشمولية تجعلنا نستعمل أسهل الطرائق وأيسرها لتدريس النحو .

وحينها نجعل المعلمين يقبلون على هذه المادة بشغف ودون كلل أو ملل ، ونجعلهم يوظفون مكتسباتهم النحوية في المهارات اللغوية المختلفة ، وهكذا تكون هذه المادة قد حققت الهدف المرجو منها .

- الهوامش :

- 1 - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، من المقدمة .
- 2 - د. محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 2002 ، ص 278 .
- 3 - ألف العديد من العلماء في ظاهرة اللحن ، بعضها وصل إلينا ، وفقد البعض الآخر، ومن أهم مؤلفاتهم: ما تلحن فيها العوام للكسائي (ت 189 هـ) ، وما يلحن فيها العامة للقراء (ت 207 هـ) وما يلحن فيه العامة لأبي عبيدة (ت 201 هـ) ، كماألف فيه الأصمعي (ت 216 هـ) ، وابن سلام (ت 224 هـ) ، والباهلي (ت 231 هـ) ، وابن السكيت (ت 234 هـ) ، والمازني (ت 248 هـ) والسجستاني (ت 255 هـ) ، وغيرهم كثير . ينظر د. محمود سليمان ياقوت ، المرجع نفسه، ص 278 - 279
- 4 - عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983 ، ص 30 - 31.
- 5 - المرجع نفسه ، ص 31 .
- 6 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المعجم العربي الأساسي ، لاروس 1989 ، ص 1179
- 7 - محمد سمير نجيب اللبدي ، معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، مؤسسة الرسالة ، قصر الكتاب، دار الثقافة، الجزائر (د.ت) ، ص 217 .
- 8 - المرجع نفسه ، ص 218 .
- 9 - المعجم العربي الأساسي، ص 1179 .
- 10 - المرجع نفسه، ص 999 .
- 11 - حسن نور الدين، الدليل إلى قواعد اللغة العربية. دار العلوم العربية، ط1، 1996، ص 8.
- 12 - عبده الراجحي، التطبيق النحوي . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط 2 ، 1998، ص 7
- 13 - ابن خلدون ، المقدمة . دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ص 422 .
- 14 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز. موقف للنشر، الجزائر، 1991، ص 43.
- 15 - د. خير الله عصار ، محاضرات في علم النفس التربوي. ألقاها على طلبة السنة الأولى ماجستير ، السنة الجامعية 90 / 91
- 16 - د. علي أحمد مذكور، تدريس فنون اللغة العربي. دار الفكر العربي، 1977، ص 337، 338. وانظر: د/تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية. عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ - 2001 م، ص 39-50. وانظر: د/تمام حسان ، الأصول. عالم الكتب القاهرة، 1420هـ ، 2000 م ، ص 151 وما بعدها.
- 17 - وزارة التربية الوطنية ، المفتشية العامة ، تقييم مناهج اللغة العربية وآدابها في الأساسي والثانوي ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، جوان 1998 ، ص 68 .
- وانظر: د/ حسن خميس الملح، التفكير العلمي في النحو العربي. (الاستقراء، التحليل، التفسير) دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2002 م، ص 67-86. وانظر: د/تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 154.
- 18 - صلاح عبد العزيز ود/عبد العزيز عبد المجيد. طرق التدريس. دار المعارف، ط17، (د.ت)، ج1، ص 218-220.
- 19 - ينظر : وزارة التربية والتكوين ، المختار في القواعد والبلاغة والعروض ، السنة الثانية الثانوية ، المعهد التربوي الوطني ، الجزائر (د.ت) ، ص 7 .
- 20 - حسين نصار ، دراسات لغوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (د.ت) ، ص 10 .
- 21 - ابن خلدون، المقدمة، 442.